

سورة لقمان

معانى الكلمات :

يوقنون : يؤمنون .

لهو الحديث : الباطل .

مهين : مذل .

وقراً : صمماً .

رواسى : جباً لا ثابتة .

تميد بكم : تضطرب بكم .

دابة : كل ما يدب على الأرض .

ميين : واضح .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يعلم المسلم عظم مكانة آيات الله عز وجل .

٢ - أن يشعر المسلم بطلاقة القدرة الإلهية وأن يلامس قلبه حلاوة الإيمان .

٣ - أن يمضى المسلم حاملاً دعوة الله للناس جميعاً .

المحتوى التربوى :

تبدأ السورة بالأحرف المقطعة التى تقرر أن هذه السورة من جنس تلك الأحرف ، هى آيات الكتاب الحكيم .

يقول صاحب الأساس : « وكيف لا يكون حكيمًا ، وهو كتاب الله الحكيم ، فهو حكيم في أحكامه ، وحكيم في معالجاته ، وحكيم في ترتيب آياته ، وحكيم في ترتيب سورته ، وحكيم في ألفاظه ، وحكيم في طريقة مخاطباته ، وحكيم فيما تحتمله آياته من وجوده ، وحكيم في مرونة ألفاظه حتى تسع الزمان والمكان ، وحكيم في كونه يضع كل شيء في محله ، ويجعل أهله يضعون الأشياء في مواضعها » .

وآيات القرآن هدى ورحمة للمحسنين ، هدى يهديهم إلى الطريق الواصل الذى لا يضل سالكوه ، ورحمة بما يسكبه لبهدى فى القلب من راحة زطأئينة وقرار ، وما يقود إليه من كسب وخير وفلاح ، وبها يعقده من الصلوات والروابط بين قلوب المهتمدين به .

والمحسنون هم : « الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » .. وإقامة الصلاة وأواؤها على وجهها وفى وقتها أداء كاملاً تتحقق به حكمتها وأثرها فى الشعور والسلوك، وتنعقد به تلك الصلة الوثيقة بين القلب والرب ، ويتم به هذا الأناى بالله وتذوق حلاوته التى تعلق القلوب بالصلاة .. وإيتاء الزكاة يحقق استعلاء النفس على شحها الفطرى ، وإقامة نظام حياة الجماعة يرتكن إلى التكافل والتعاون . ويجد وأولئك الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم يوقنون بالآخرة .. « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » . ومن هدى فقد أفلح ، فهو سائر على النور ، واصل إلى الغاية ، ناج من الضلال فى الدنيا ، ومن عواقب الضلال فى الآخرة ؛ وهو مطمئن فى رحلته على هذا الكوكب تتناسق خطاه مع دورة الأفلاك ونواميس الوجود ؛ فيحس بالأناى والراحة والتجاوب مع كل كائن فى الوجود .

الواجدون فيه والمحرومون الثقة والطمأنينة ومودات القلوب التى لم يفسدها التلاف ولا الحرمان .. واليقين بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب البشرى ، وتطلعه إلى ما عند الله ، واستعلائه على أوهاق الأرض ، وترفعه على متاع الحياة الدنيا ؛ ومراقبة الله فى السر والعلن وفى الدقيق والجليل ؛ والوصول إلى درجة الإحسان التى سئل عنها رسول الله ﷺ فقال : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإم لم تكن تراه فإنه يراك » .

وهؤلاء المحسنون هم الذين يكون الكتاب لهم هدى ورحمة ؛ لأنهم بما فى قلوبهم من تفتح وشفافية يجدون فى صحبة هذا الكتاب راحة وطمأنينة ؛ ويتصلون بما فى طبيعته من هدى ونور ، ويدركون مراميه وأهدافه الحكيمة ، وتصطلح نفوسهم عليه ، وتحس بالتوافق والتناسق ووحدة الاتجاه ، ووضوح الطريق . وإن هذا القرآن ليعطى كل قلب بمقدار ما فى هذا القلب من حساسية وتفتح وإشراق ؛ ويقدر ما يقبل عليه فى حب وتطلع وإعزاز . إنه كائن حتى يعاطف القلوب الصديقة ويجاوب المشاعر المتوجهة إليه بالررفة والحنين !

يقول صاحب الظلال : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ » .. يشتريه بما له ويشتره بوقته، ويشتره بحياته . يذل تلك الأناى الغالية فى هو رخيص ، يفنى عمره المحدود ، الذى لا يعاد ولا يعود ، يشتري هذا اللهو « لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرَ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزْؤًا » فهو جامل محجوب ، لا يتصرف عن علم ، ولا يرمى عن حكمة ؛ وهو سئى النية والغاية ، يريد ليضل عن سبيل الله . يضل نفسه ويضل غيره بهذا اللهو الذى ينفق فيه الحياة . وهو سئى الأدب يتخذ سبيل الله هزواً ، ويسخر من المنهج الذى رسمه الله للحياة وللناس . ومن ثم يعالج القرآن هذا الفريق بالمهانة والتهديد قبل أن يكمل رسم الصورة : « أُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ » .. ووصف العذاب بأنه مهين مقصود هنا للرد على سوء الأدب والاستهزاء بمنهج الله وسبيله القويم .

ثم يمضى فى استكمال صورة ذلك الفريق : ﴿ وَإِذَا تُلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَنِيَ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ وهو مشهد فيه حركة ترسم هيئة المستكبر المعرض المستهين . ومن ثم يعالجه بوخزة مهينة تدعو إلى تحقير هذه الهيئة : ﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ وكان هذا الثقل فى أذنيه يحجبه عن سماع آيات الله الكريمة ، وإلا فما يسمعها إنسان له سمع ثم يعرض عنها هذا الإعراض الذميم . ويتم هذه الإشارة المحقرة بتهكم ملحوظ : ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فما البشارة فى هذا الموضوع إلا نوع من التهكم المهين ؛ يليق بالمتكبرين المستهزين !

ويعرض النص القرآنى مسوغات استحقاق الضالين لعذاب الله فهم يتخذون آيات الله هزواً ، ويسخرون من المنهج الذى رسمه الله لهم ، بل إنهم إذا تليت آيات الله أعرضوا عنها ، أما المؤمنون فهم يخرون لآيات الله سجداً .

أما جزء المؤمنین فيذكر قبله العمل الصالح مع الإيمان فطبيعة هذه العقيدة تقتضى ألا يظل الإيمان فى القلب مجرد حقيقة معطلة ، إنما هو حقيقة حية فاعلة متحركة ، ما تكاد تستقر فى القلب ويتم تمامها حتى لتتحرك ذاتها فى العمل والحركة والسلوك .

ثم يلفت القرآن الذهن للكون الفسيح سمواته وأراضيه ، وهو تنوع فى الدعوة للمنكرين بأن يروا هذه السموات المرفوعة بغير عمد ، والناس يرونها مهما امتدت أبصارهم بالليل والنهار ، ويرون النجوم السابحة التى تبدو كالنقط الصغيرة ، وكل نقطة منها تبلغ كتلتها أضعاف كتلة الأرض التى تقله ملايين المرات .

ثم يعود السياق القرآنى ليرى آيات الله فى الأرض ، ومنها الجبال الرواسى التى تحفظ توازن الأرض ولا تهتز ، ومن آيات الله فى الأرض وجود الحياة على هذا الكون بمختلف أنواع الأجناس والفصائل والأنواع والأنماط ... ليس هذا فحسب ، بل الإنسان نفسه آية فهو يجوى جسمه مئات المعامل الكيماوية العجيبة ، ومئات المخازن للإيداع والتوزيع ، ومئات المحطات اللاسلكية للإرسال والاستقبال ، ثم تجدد بعد هذه الآيات من يمر بهذه العجائب مغمض العينين ومطموس القلب وكأنهم يعمرون على شىء عادى لا يستلفت النظر؟! وما زال النص القرآنى يعرض الآيات وهى نزول المياه التى تنبت نباتات من كل زوج كريم ، وهى حقيقة علمية بأن كل نبات له خلايا تذكير وتأنيث ، وفى هذا تحدٍ للظالمين الذين ضلوا عن صراط الله العزيز الحميد .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - المستحق لتلقى القرآن واستقاء رحمته وهده من أوتى العقيدة الصحيحة .

٢ - أن يحفظ المسلم وقته فلا يضيعه فى الهذر والهزل .

٣ - التفكير فى خلق الله عز وجل فى السماء والأرض والجبال . والبحار . والأمطار . والزروع .

والإنسان .

معانى الكلمات

- فصاله : فطامه .
 أناب : رجع .
 خردل : حب أسود صغير يضرب به المثل
 فى الصغر .
 لا تصعر خذك : لا تمّل وجهك .
 مختال : معجب بنفسه .
 اقص : توسط فى المشى .
 اغضض : اخفض من صوتك .
 أنكر الأصوات : أقبح الأصوات .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يعرف المسلم فضل الوالدين وعظم منزلتهما .
- ٢ - أن يشعر المؤمن بفضل والديه عليه وأن يجد حلاوة الطاعة ، ويستشعر قبح المعصية .
- ٣ - أن يحرص المؤمن على طاعة والديه وأن يكون متواضعا لله .

المحتوى التربوى :

يقول صاحب الأساس : « بين يدي قصة لقمان عليه السلام : جاءت قصة لقمان عليه السلام بعدما تقرر أن القرآن حكيم من عند حكيم ، ومن ثم تأتي القصة لتعرفنا على أدب تلقى الحكمة من الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ ، وجاءت لترينا نماذج من حكمة الحكماء كنموذج على انطباق حكمة الحكماء مع ما أمر به القرآن ، وكنموذج على الحكمة فى هذا القرآن أصلا ، وتأتى القصة لترينا أدب الحكماء فى نشر الحكمة وتعميمها ، وفى ذلك إشارة إلى أن القرآن يجب أن يوصى به وأن ينشر ويبلغ ، ومن ثم فإن قصة لقمان عليه السلام التى فى سورة لقمان تأتى لتخدم سياق السورة الخاص والعام من جوانب متعددة .

* وإذا تأملنا فى الوصايا التى أوصى بها لقمان عليه السلام ابنه وجدنا أنها تشتمل على أوامر ونواه ، والآيات تعلمنا أن للإحسان دخلاً فى العبادة وفى العشرة مع الوالدين وفى الصلاة .. وهذه كلها وصايا عظيمة وآداب جلييلة وهى مظاهر من الإحسان والهداية ، وهذا مظهر جديد من مظاهر صلة قصة لقمان عليه السلام بالسياق .

وتبدأ هنا جولة ثانية فى السورة، وهى معالجة قضية الشكر لله وحده، وتنزيهه عن الشرك كله، بأن ذكر الله عز وجل نعمته على عبده لقمان بأن آتاه الله الحكمة وهى نعمة كبيرة يؤتيها لمن يصطفيه من خلقه ، تقتضى أن يعلم الله عز وجل عبده أن يشكر الله عليها ، وهى تعلمنا - نحن المسلمين - أن نشكر الله على القرآن الكريم ، وشكر النعمة عائد نفعه إلى العباد تعلق درجاتهم وتقربهم إلى ربهم ، بل وأدعى لتزايد نعم الله عليهم .

ومن تمام أداء شكر النعمة أن يوصى الإنسان أولاده بالحكمة ويربهم عليها ، فهنا لقمان يوصى ابنه بأعلى وصية وهى عدم الشرك بالله ؛ لأنه أشد الظلم ويعلق صاحب الظلال بقوله :
« وإنما لعظة غير متهمة ، فما يريد الوالد لولده إلا الخير ، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً ، وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك ، وهذه هى الحقيقة التى يعرضها محمد على قومه لا يريد بهم إلا الخير » .

وفى ظل نصيحة الأب لأبنه يعرض للعلاقة بين الوالدين والأولاد فى أسلوب رقيق ، ويصور هذه العلاقة صورة موحية فيها انعطاف ورقة .

يقول صاحب الظلال : « وتوصية الولد بالوالدين تتكرر فى القرآن الكريم ، وفى وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً ، ومعظمها فى حالة الوأد - وهى حالة خاصة فى ظروف خاصة - ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه ، فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ ؛ لضمان امتداد الحياة وكما يريدنا الله ، وإن الوالدين ليبلان لولدها من أجسامها وأعصابها وأعمارها ومن كل ما يملكها فى عزيز وغال ، فى غير تأفف ولا شكوى ، بل فى غير انتباه ولا شعور بما يبذلان ، بل فى نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان ، فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة .

فأما الوليد فهو فى حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحى المدبر المولى الذاهب فى أدبار الحياة ، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة ، وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه ، ولو وقف عمره عليها » .

وتنبه الآيات أن رابطة الوالدين رغم كرامتها وعظمتها تأتي بعد رابطة العقيدة ، إن وشيعة العقيدة تعلقو على كل وشيعة ، فإذا اختلفت عقيدة الوالدين فالطاعة لله ، ومع هذا فالعبد يطيع الوالدين فى غير العقيدة بأن يصاحبهما مصاحبة كريمة ، وأن تكون المعاملة الطيبة ، بل نتبع سبيل من أناب إلى الله ، فإبراهيم عليه السلام الأواه المنيب ألان الكلام لأبيه أزر رغم شركه بالله .

ثم تعود الآيات لذكر وصايا لقمان لابنه بتذكيره بأن الله يعلم أخفى الخفايا . وذلك كى يطيع الله فى كل أوامره ويتجنب نواهيه ، وكى يخشع القلب وينيب إلى اللطيف الخبير بخفايا الذنوب .

وتستمر الوصايا فى ترتيب دقيق من عدم الشرك بالله ، وإدراك علم الله عز وجل إلى الأمر بالصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالصلاة تنهى عنها ، وهذه الأشياء كلها هى زاد المؤمن قبل المعركة مع الشر ، زاد العبادة بالصلاة ثم الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله من التواء النفوس وعنادها ، وانحراف القلوب وإعراضها ، وهذه الوصايا لا ينهض بها إلا الخاشعون كما قال عز وجل : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (البقرة) .

ويستمر البيان القرآنى فى عرض نصائح تكفل سلامة المجتمع الإسلامى من التعالى والكبر ، والداعية هو أولى الناس بالبعد من تلك الصفات ، وفى ذلك يقول صاحب الظلال بتصرف : « والمشى فى الأرض مرحاً هو المشى فى تحايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس ، وهى تعبير عن شعور مريض بالذات ، ومع النهى عن مشية المرح بيان للمشية القاصدة المعتدلة ، وعدم إضاعة الطاقة فى التبخر والتشنى والاختيال ، والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس ، ما يزعق وما يغلظ فى الخطاب إلا سبى الأدب أو شاك فى قيمة قوله ، أو قيمة شخصه فىحاول إخفاء هذا الشك بالحدة أو الغلظة والزعاق .»

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الشكر لله دائماً على نعمه .

٢ - البر بالوالدين دائماً ، وتجنب عقوقهما .

٣ - استشعار مراقبة الله عز وجل فى كل أمور العبد .

٤ - الحرص على الآداب القويمه من الاعتدال فى المشية وخفض الصوت .

معانى الكلمات :

- سخر : هيا وذلل .
 أسبغ : أتم وأوسع .
 يجادل فى الله : ينكر وجوده .
 السعير : النار الموقودة .
 الوثقى : القويمة .
 عاقبة الأمور : مصيرها .
 يمدّه : يزيده .
 سبعة أبحر : مملوءة ماء .
 ما نفدت : ما انتهت .
 كلمات الله : عجائبه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بعظم وكمال قدرة الله فى الكون .
- ٢ - أن يعلم المؤمن بعض مظاهر قدرة الله فى الكون .
- ٣ - أن يسلم المؤمن وجهه لله عز وجل وأن يكون قدوة للآخرين فى الرضا بمقدور الله .

المحتوى التربوى :

هنا تبدأ جولة ثالثة فى سورة لقمان وهى عرض لمشهد كونى مرتبط بالناس ومصالحهم ، فالسياق للتأمل فى خلق السموات والأرض ، وهذه لفظة مكررة فى القرآن بشتى الأساليب تبدو جديدة فى كل مرة ؛ لأن هذا الكون لا يزال يتجدد فى الحس كلما نظر إليه القلب، وتدبر أسراره ، وتأمل عجائبه التى لا تنفد .

والسياق يعرض هذه اللفظة هنا من زاوية التناسق بين حاجات الإنسان على الأرض ، وتركيب هذا الكون ، مما يقطع بأن هذا التناسق لا يمكن أن يكون فلتة ولا مصادفة ؛ وأنه لا مفر من التسليم بالإرادة الواحدة المدبرة التى تنسق بين تركيب هذا الكون الهائل وحاجات البشر على هذا الكوكب الصغير الضئيل الأرض .

يقول صاحب الظلال : « فضل الله على هذا الإنسان ونفخته فيه من روحه ، وتكريمه له على كثير من خلقه .. هذا الفضل وحده قد اقتضى أن يكون لهذا المخلوق وزن فى نظام الكون وحساب ، وأن يهبى الله القدرة على استخدام الكثير من طاقات هذا الكون وقواه ، ومن ذخائره وخيراته ، وهذا هو التسخير المشار إليه فى الآية فى معرض نعم الله الظاهرة والباطنة ، وهى أعم من تسخير ما فى السماوات وما فى الأرض .

فوجود الإنسان ابتداء نعمة من الله وفضل ، وتزويده بطاقاته واستعداداته ومواهبه ، هذه نعمة من الله وفضل ، وإرسال رسله ، وتنزيل كتبه فضل أكبر ونعمة أجل ، ووصله بروح الله من قبل هذا كله نعمة من الله وفضل ، وكل نفس يتنفسه ، وكل خفقة يخفقها قلبه ، وكل منظر تلتقطه عينه ، وكل صوت تلتقطه أذنه ، وكل خاطر يهيجس فى ضميره ، وكل فكرة يتدبرها عقله .. إن هى إلا نعمة ، ما كان لينالها لولا فضل الله .

إن المجادلة من طريق الكفر لهذا الكون المشاهد وفى تلك النعم السابعة ، والإنكار والجحود لها يبدو شيئاً قبيحاً ، تنفر منه الفطرة ، ويقشعر منه الضمير ، ويزيد الموقف بشاعة أنه لا يرتكن فى هذا الجدال إلى علم ، ولا يهتدى بهدى ، ولا يستند إلى كتاب ينير له القضية ويقدم له الدليل .

إن الآيات توضح بعد ذلك سفه دعاوى المشركين وهو تقليدهم آباءهم فى كفرهم ، فهذا هو سندهم الوحيد ، أما الإسلام فهو يريد تحرير المشركين من الجمود والتقليد ، وهو السبيل الذى اتبعوا الشيطان فيه .

وتوضح الآيات فى صورة المقابلة صورة المؤمن الذى أسلم وجهه لله ، واطمأن لقدر الله ، وانصاع لأوامره ، فأصبح المؤمن فى رباط مع الله ، وهى العروة الوثقى التى تحفظ المسلم ، وتجعله رابط الجأش فى مواجهة الأحداث ، وعن ثمرة العروة الوثقى يقول صاحب الظلال : « إن الرحلة طويلة وشاقة ، وشاملة بالأخطار ، وخطر الحرمان فيها والشقاء ، وخطر السراء فيها ليس أهون ولا أيسر من خطر الضراء » .

وفى الآيات بعد ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ﴾ نجد فيها عزاء للدعاة بالألأ يحزنوا من إعراض المدعوين ، وأن البلاغ مهمة الدعاة إلى الله عز وجل ، وشأن الكفار المعرضين أهون وأقل من أن يحزن الدعاة ، فالأنبياء والدعاة نعمة كبرى يستحق جاحدها العذاب الأليم .

ثم تظهر الآيات الحقيقة الكامنة التى لا يستطيع أن ينكرها الكافرون حين يستفتون فطرتهم ، ويعودون إلى ضميرهم ، والسماوات الأرض بأوضاعها ، وأحجامها وحركاتها وأبعادها لا

يدعى أحد أنه خلقهما ، إن منهج مخاطبة الكافرين يعتمد على إثارة الذهن لهذا الكون الفسيح وإعجازه وتنسيقه .

وتأتى الآيات بعد ذلك تقرر أن العزة لمن تمسك بالله والغنى فى طاعته ، فقدرة الله ليست محدودة ولا متناهية ، وأوامره وكلماته لا تنفذ ، وعلمه لا يجد ، فليستمر الدعاة إلى الله فى دعوتهم ، فالله بقدرته مع الذين آمنوا ، أما الكافرون فدعواهم باطلة وقوتهم واهية أمامه عز وجل ، ومشيتته التى ليس لها حدود ولا قيود ، وآياته فى الكون ، فلو أن البشر أتوا بكل الشجر وحولوه أقلاماً ، وجميع ما فى الأرض من بحار تحول لمداد يمد من بعده سبعة أبحر ما انتهت كلمات الله ، ولعجز العباد عن إحصاء آياته ومعجزاته فى الكون .

ويقول صاحب الظلال : « والآن تختم هذه الجولة بمشهد كونى يرمز إلى غنى الله الذى لا ينفد وعلمه الذى لا يجد وقدرته على الخلق والتكوين المتجددين بغير ما نهاية ومشيتته المطلقة التى لا نهاية لما تريد : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ .

إنه مشهد متزع من معلومات البشر ومشاهداتهم المحدودة ؛ ليقرب إلى تصورهم معنى تجدد المشيتة الذى ليس له حدود ، والذى لا يكاد تصورهم البشرى يدركه بغير هذا التجسيم والتمثيل ... إن كلمات الله لا تنفذ لأن علمه لا يجد ؛ ولأن إرادته لا تكف ولأن مشيتته سبحانه ماضية ليس لها حدود ولا قيود .

وتتوارى الأشجار والبحار وتتزوى الأحياء والأشياء وتتوارى الأشكال والأحوال ويقف القلب البشرى خاشعاً أمام جلال الخالق الباقى الذى يتحول ولا يتبدل ولا يغيب ، وأمام قدرة الخالق القوى المدبر الحكيم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وتستمر الآيات فى إثبات طلاقة القدرة ويسر الخلق وسهولة البعث فالعبد يعمل وعمله له ينتهى عنده ، والله عز وجل يستوى عنده خلق الواحد والملايين بكلمة المشيتة : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يس) .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً :

- ١ - شكر الله عز وجل على نعمه ، والتفكر فى طلاقة قدرة الله فيها .
- ٢ - الصبر فى الدعوة إلى الله ، والحذر من قرب اليأس لنفس الداعية .
- ٣ - التفكر فى خلق الله عز وجل وآياته فى الكون ، وتأمل طلاقة قدرة الله فى خلقه الله .

معانى الكلمات :

يولج : يدخل .

الظلل : جمع ظلة وهو كل ما يرتفع ويظل كالسحاب .

مقتصد : معتدل فى عقيدته .

ختار : غدار شديد الغدر .

كفور : جحود للنعم .

الغرور : كل ما يخدع الإنسان .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يعلم المسلم عاقبة الاغترار بالحياة الدنيا .

٢ - أن يشعر المسلم بنعم الله عليه .

٣ - أن يجتهد المؤمن فى عباداته ويلتزم بأوامر الله ويجتنب نواهيه .

المحتوى التربوى :

وتأتى الجولة الأخيرة فى السورة لتقرر أن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وتقرر إخلاص العبادة لله وحده ، وتقرر قضية اليوم الآخر الذى لا يجزى فيه والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، تقرر ذلك عن طريق التفكير فى مشهد دخول الليل فى النهار ، ودخول النهار فى الليل ، وتناقصهما وامتدادهما عند اختلاف الفصول ، وهو مشهد عجيب ، لكن لطول الألفة والتكرار فقد أكثر الناس الحاسية تجاهه ، فلا يلحظون هذه العجيبية التى تتكرر بانتظام دقيق لا يتخلف مرة ولا يضطرب ، والله وحده هو القادر على إنشاء هذا النظام وحفظه ، ولا يحتاج إدراك هذه الحقيقة إلى أكثر من رؤية تلك الدورة الدائبة التى لا تكل ولا تحيد .

إن الآيات تعلم الداعى إلى الله تنوع فن الدعوة إلى الله لا سيما مع المنكرين الذين يحتاجون إلى دلائل واضحة بالتفكر فى هذا الكون الثابت الدائم المنسق الدقيق ، وبأن كل شىء يلحقه الزيادة والنقصان ، وتعتبره القوة والضعف ، والازدهار والذبول ، والإقبال والإدبار ، وهو وحده سبحانه الدائم الباقي الذى لا يتغير ولا يتبدل فهو العلى الكبير .

وحتى الآيات التى يعرضها النظم القرآنى روعى فيه التنوع ، فىأتى هذا النظم بآيات تتعلق بحياة الجاحدين والمنكرين فالفلك التى تجرى وفق نواميس الله فى البحر فقد وُضعت فى البحر خواص لا تختل لتحفظ جريان السفن ، ولو اختلت كثافة الماء ، أو نسبة ضغط الهواء على سطح البحر ، أو اختلت تيارات الماء والهواء فى الحدود المناسبة ، لو اختل أى شىء من هذه الأشياء ما جرت السفن على الماء لكن الله هو حارس الفلك وحاميتها فوق ثبج الماء وسط العواصف والأنواء .

وتذكر الآيات أن احتياج العباد مؤمنهم وكافرهم أكبر دليل على وجوده ، فإذا جرت الفلك فى الماء وجاءت أمواج تغشى هذه الفلك كالريشة فى الخضم الهائل تعود النفوس كلها إلى ربها ، فيقول صاحب الظلال : « تنعري النفوس من القوة الخادعة ، وتتجرد من القدرة الموهومة ، التى تحجب عنها فى ساعات الرخاء حقيقة فطرتها ، وتقطع ما بين هذه الفطرة وخالقها ، حتى إذا سقطت هذه الحوائل ، وتعدت الفطرة من كل ستار ، استقامت إلى ربها ، واتجهت إلى بارئها ، وأخلصت له الدين ، ونفت كل شريك ، ونبذت كل دخيل ، ودعوا الله مخلصين له الدين » .

لكن الفطرة التى اعتادت الانحراف تنكر الله ونعمته فاستحقوا العذاب لجحودهم نعم الله ، أما الفطرة السليمة فتظل على استقامتها ؛ لأن قلبها لأمس رحمة الله ، فأدركت قدرة الله .

ومن الهول الأصغر تنقلنا الآيات إلى الهول الأكبر وهو يوم القيامة ، وفيه تجدى أواصر الطاعة لله ، والانقيادية له وتظهر الموازين الحقيقية ، وتقطع موازين الدنيا الباطلة من أواصر الدم والقربى ، ووشائج الرحم والنسب بين الوالد والولد وبين الأخ وأخيه : ﴿ فإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ﴿ المؤمنون ﴾ ووعده الله حق فلا يخلف ولا يتخلف ، ولا مفر من الحساب الدقيق والجزاء العادل ، الذى لا يغنى فيه والد عن ولد ، ولا مولود عن والد .

وتوضح الآيات أسباب البعد عن الله عز وجل وهو الغرور بمتاع الحياة الدنيا من متاع يلهى ، أو شغل ينسى ، أو شيطان يوسوس فى الصدور ، والشياطين كثير ، الغرور بالمال شيطان ، والغرور بالعلم شيطان ، والغرور بالقوة شيطان ، والغرور بالسلطان شيطان ، ودفعة الهوى شيطان ، ونزوة الشهوة شيطان ، وتقوى الله وتصور الآخرة هى العاصم من كل غرور .

يقول صاحب الظلال : « وبعد الجولات الثلاثة السابقة تأتى الجولة الرابعة وختام السورة ، وفى ظل هذا المشهد المرهوب يجيء الإيقاع الأخير فى السورة قوياً عميقاً مرهوباً يصور علم الله الشامل ؛ ويقر القضية التى تعالجها السورة بكل أجزائها ويخرج هذا كله فى مشهد من مشاهد التصوير القرآنى العجيب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ ... وإن النفس البشرية لتقف أمام هذه الأستار عاجزة خاشعة تدرك بالمواجهة حقيقة علمها المحدود وعجزها الواضح ويتساقط عنها غرور العلم والمعرفة المدعاة » .

والسياق القرآنى يعرض هذه المؤثرات العميقة التأثير فى القلب البشرى فى رقعة فسيحة هائلة ... رقعة فسيحة الزمان والمكان وفى الحاضر الواقع والمستقبل المنظور والغيب السحيق وفى خواطر النفس ووثبات الخيال : ما بين الساعة البعيدة المدى والغيب البعيد المصدر ، وما فى الأرحام الخافى عن العيان والكسب فى الغد وهو قريب فى الزمان ومغيب فى المجهول وموضع الموت والدفن وهو مبعد فى الظنون .

وكل هذه الآيات غيبيات لا يعلمها إلا الله لإثبات القصور البشرى أمام القدرة الإلهية المطلقة، ولتساقط دعاوى الغرور ، غرور العلم والمعرفة المدعاة ، وتعرف أمام هذه الأستار أن الناس لم يأتوا من العلم إلا القليل .

وهذه الغيبيات تشمل الزمان والمكان وخواطر النفس والخيال ، والساعة البعيدة ، والغيب ، وما فى الأرحام ، إنها رقعة فسيحة الآماد والأرجاء ؛ لتطمأن النفس البشرية من كبرياتها وتخضع لله .

وهكذا تنتهى السورة كما لو كانت رحلة هادئة بعيدة الآماد والآفاق والأغوار والأبعاد ويؤوب القلب من هذه الرحلة المديدة البعيدة الشاملة الشاسعة وثيد الخطأ لكثرة ما طوّف وجسامة ما يحمل ، ولطول ما تدبر وما تفكر فى تلك العوالم والمشاهد والحيوات .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - التفكير فى مخلوقات الله يهديننا إلى الإيمان به تعالى .
- ٢ - فى يوم القيامة كل فرد مسؤول عن عمله فلا قرابة تنفع ، ولا صداقة تشفع .
- ٣ - وعد الله حق لا يتخلف أبداً .
- ٤ - أن عاطفة الإيمان موجودة عند البشر جميعاً وتظهر وقت الشدة .
- ٥ - الحرص على الجمع بين الشكر والصبر .